الحث على طلب العلم والاجتهاد فى جمعه

تصنيف

أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري
(؟ - ٤٠٠)

انتقاء

أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد
(؟ - ١٣٧٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعـد

فقد أعجبني كتاب ذاك العسكري لولا ثلاث خصال فيه:

١ – لم يبوِّبه.

٢ – أكثر فيه من ذكر أحوال الجُبّائي المعتزلي.

٣ – فيه حشو.

هذا، ومع أن صاحب حواشي نشرة الكتاب الأولى بذل جهداً فيها إلا أنه:

١ – لم يستدرك ما كان سبق بيانه من التبويب وبيان حال المعتزلي...

٢ – طوّل حواشيه جداً بغير حاجة، فمثلاً عند ذكر ابن عُمر– رضي الله عنهما– يذكر مصادر ترجمته في ثمانية أسطر، وهكذا عامة من يترجم لهم، وهو كثير التراجم!

ولما سبق، ومع المناسبة بين ما كتبه المؤلف وما جعلتُ له هذا الجامع قمتُ:

١ – تبويب الكتاب: (الاجتهاد في الطلب) و (فضل العلم في الدنيا) و (الحسد في طلب العلم) و (آلات طالب العلم) و (شرف العلم) و (الصبر على طلب العلم والمداومة فيه) و (الحفظ: كيف يكون)، وكذلك تبويب

بعض الفصول، وكل ما كان بين [ ] فهو مني.

٢ - حذفت الحَشْو وذِكْر المعتزلة.

٣ - علّقتُ بإيجازٍ على حواشيه.

هذا، وأسأل الله تعالى أن ينفع به من قرأه، ويجعله ذخراً صالحاً لمن سطره واختصره، ومن نشره. والله المستعان.

وكتب أبو عبد الله

لثلاث خلون من صفر سنة
إحدى عشرة وأربعمائة وألف.

* * *

ترجمة المؤلف

الاسم الحَسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد

الكنية أبو هلال

اللقب العسكري- نسب إلى بلدة (عسكر مكرم) في بلاد الخوز بين البصرة وفارس، ومنها خرج جماعة كلهم تلقب بهذا اللقب من أشهرهم شيخه وسميه أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري.

المولد ؟

طلب العلم غلب عليه علوم اللغة والنحو، مع طلبه للحديث، وأكثر عن أبي أحمد العسكري.

عقيدته ذكره بعضهم في أعيان الشيعة وفي ذلك نظر.

تصانيفه كثيرة، فمن المنشور فيها: الأوائل، والأمثال، وديوان المعاني، والصناعين، والفروق في اللغة، وفضل العطاء على العسر، والكرماء، وغيرها.

تلاميذه منهم أبو سعد السمان وأبو الغنائم المقريء والمظفر الاستراباذي وغيرهم.

وفاته جزم السيوطي بأنها سنة (٤٠٠)، وآخر ما عرف من أخباره كان ما ذكره في آخر كتابه الأوائل: (فرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة).

المراجع معجم الأدباء (٢٣٣/٨)، ومعجم البلدان (١٧٧/٦)، وطبقات المفسرين للداودي (١٣٤/١)، وبغية الوعاة (٥٠٦/١).

[١] - [فصل في الاجتهاد في الطلب]

الاجتهادُ فيما يَزيدُ في النباهَةِ والقَدْرِ راحةُ العاقِلِ، والتَوَاني عنهُ عادةُ الجاهِلِ.

وقُلْتُ في نحو ذلك:

وسَاهِرُ الليلِ في الحاجاتِ نائمُهُ   وَوَاهِبُ المالِ عندَ المَجْدِ كَاسِبُهُ

وقلتُ في نحو ذلك:

وليَغْدُ في تَعَبٍ يَرُحْ في راحةٍ   إنَّ الأمُورَ مُريحُها كالمُتْـعِب

وقلت:

أَلا يَذُمُّ الدَّهرَ مَنْ كانَ عاجزاً   ولا يعذِلُ الأقدارَ من كَانَ وانيا
فمن لم تُبَلِّغْهُ المعـالي نـفسُهُ   فَغَيْرُ جديـر أنْ يَنـاَلَ المعاليـا[١]

ومِثْلُ العُلُوِّ في المَكَارِمِ، مِثْلُ الصُعُودِ في الثَّنَايَا والقُلَلِ، ولا يكونُ إلا بِشِقِّ النَّفسِ. ومَنْ ظَنَّ أنَهُ يَنْعُمُ في قَصْدِ الذُّرَى والتَّوَقُّل في الغُرفَاتِ العُلَى فَقَدْ ظَنَّ باطلاً وتوهمَ مُحالاً.[٢]

---

(١) عني المؤلف أن المرء يبلغ المعالي إما بنفسه فهذا الجدير بها، وإما بزُورٍ وجاهٍ– وهذا غير جدير بها وسرعان ما ينكشف أمره. ولكنه أساء القول، فإن إرادة الله تعالى فوق كل إرادة، نعم اجتهد للخير، لكن ليس كل مجتهدٍ يبلغ ما اجتهد له وفيه، (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) (وما بكم من نعمة فمن الله).. ولهذا بسط ليس هذا بمحله.

(٢) نعم هو لا ينعم بمعنى الكسل والبطالة، فإنه إن فعل ذلك سقط من عليائه متعسراً، لكنه ينعم لأن طلب معالي الأمور على ما فيه من مشقة تميل إليه =

[٢] - [فصل في فضل العلم في الدنيا]

فإذا كنتَ، أيها الأخ، ترغبُ في سُمُوِّ القدرِ، ونباهةِ الذِّكْرِ، وارتفاعِ المنزلةِ بين الخلقِ، وتلتمسُ عزاً لا تَثْلِمُهُ الليالي والأيامُ، ولا تتحيَّفُهُ الدهورُ والأعوامُ، وهيبةً بغيرِ سلطان، وغنًى بلا مال، ومَنَعَةً بغير سلاحٍ، وعلاءً من غيرِ عشيرةٍ، وأعواناً بغير أجْرٍ، وجنداً بلا ديوانٍ وفَرْض، فعليكَ بالعلمِ، فاطلبه في مظانّه، تَأْتِكَ المنافعُ عفواً، وتلقَ ما يُعْتَمدُ منها صَفْواً، واجتهدْ في تحصيلِهِ لياليَ قَلائل، ثم تَذَوَّقْ حلاوةَ الكرامةِ مدةَ عُمُرِكَ، وتَمَتَّعْ بلذةِ الشرفِ فيه بقيةَ أيامك، واسْتَبْقِ لنفسِكَ الذكْرَ به بعدَ وفاتِك.(٣)

= نفسه وتجد فيه راحة وطمأنينة لا تجدها عند النزول إلى سفاسف الأمور: فتجد الرجل يقرأ الساعات الطوال، ولا يمل قراءته، ويجد في ذلك لذة لا تعادلها لذة غيره في أمور دنياه، وقد ذُكر عن النَّضْر بن شُمَيْل- رحمه الله- أنه قال: (لا يجد المرء لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه)! [تذكرة الحفاظ ٣١٤-٣١٥].

(٣) في هذا القول هَلَكَتان!!:

١ - الترغيب في طلب العلم لمنافع الدنيا، فإن ذلك يبطل منافع الآخرة ويجعل منافع الدنيا وبالاً عليه ومفسدة لما طلب من العلم، فاطلب العلم خالصاً مخلصاً لله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة).

٢ - قوله: (اجتهد في تحصيله ليالي قلائل) فلا والله ما نال العلم من صنع ذلك، فإن العلم لا ساحل له، وما يزال المرء يتعلم حتى يموت وقد فاته من العلم أكثره، ومن ظن أن العلم يناله من تعب قليلاً فقد ظن محالاً، وحتى ما ناله بهذا التعب إذا لم يسقه ويتعهده ضاع منه!

وانظر في ذيل المناهي لي: (لا مزيد عليه)!

وإذا تدبرتَ قول أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه): —

قيمة كل امريءٍ ما يحسنه

كنتَ حقيقاً بالاجتهاد في طلب العلم.

وقلت فى هذا المعنى:

ما مرّ بي يوم ولا ليلة دون ثناءٍ حسنٍ أغْنُمُهْ
وليس لي في ليلتي رقدة من دون علمٍ نافع أُحْكِمُهْ
أزيد في علمي وفي قيمتي وقيمة الإنسان ما يعلمه(٤)

* * *

(٤) قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/٩٩–١٠٠): (يقال: إن قول علي– رضي الله عنه– هذا لم يسبقه إليه أحد، وليس كلمة أحَضَّ على طلب العلم منها... وقد نظمه جماعة من الشعراء...). وانظر إلى فائدة قول المصنف إنه لا ينام دون أن يزيد في علمه.

[٣] – [فصل في الحسد في طلب العلم].

أخبرنا الشيخ أبو أحمد الحَسن بن عَبْد الله بن سعيد عن عبد الله بن عبد الملك بن هارون عن بِشْر بن عُبيد عن وهب بن وهب عن عبد الواحد ابن ميمون عن ابن عباس– رضي الله عنه– أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال:

لا يصلح الحسد والمَلَقُ إلا في طلب العلم(٥)

---

(٥) **موضوع**، ورد من طرق:

١ – حديث ابن عباس– رضي الله عنهما، وفي إسناده وهب أبو البختري كذاب، وعبد الواحد: قال البخاري: منكر الحديث، وقال الدارقطني: متروك.

٢ – حديث معاذ– رضي الله عنه: (ليس من أخلاق المؤمن...)، رواه ابن عدي (١٠/٥)، والبيهقي في الشعب (٤٨٦٣)، وابن السني (١٣٧/ تخريج الإحياء) والديلمي من طريق أبي نعيم (١٣٧/ تخريج الإحياء)، والقضاعي في مسند الشهاب (١١٨٨)، والسلفي في المنتخب من أصول السرّاج اللغوي (–) ، ومداره على الحسن بن دينار عن الخضيب بن جَحْدر– كما قال ابن عدي، وكلاهما واهٍ متهم، وضعّفه البيهقي جداً، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. ورواه الديلمي (٧٩٥٤) بلفظ: (لا بأس بالحسد في طلب العلم).

٣ – حديث أبي هريرة– رضي الله عنه: (لا حسد ولا ملق..)، رواه ابن عدي (٢٢٢/٦) عن الحسن بن سفيان صاحب المسند، (ح) والبيهقي في الشعب (٤٨٦٤) من طريق أبي بكر الشافعي، ح والخطيب في تاريخه (٢٧٥/١٣) والجامع (١٤٣٣) وغيرهم من طريق عَمْرو بن الحصين عن ابن علاثة عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عنه، وقال ابن عدي: (منكر)، وعَمْرو كذّاب متروك.

٤ – حديث أبي أمامة– رضي الله عنه: (ليس من أخلاق المؤمن)، رواه =

وقال أبو تمام:

فاعذرْ حسودك فيما قد خُصِصتَ بِهِ   إن العُلا حَسَنٌ في مثلها الحسدُ

= ابن عدي (٢٩٨/٢) عن طريق فهر عن عمر بن موسى الوجيهي عن القاسم عنه، وأعله بعمر فهو يضع، وزاد الألباني (٣٨١) جهالة فهر.

٥ – مرسل سعيد الشامي–: (من غض صوته عند العلماء... ولا خير في التملق والتواضع إلا في الله أو في طلب العلم) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٦٠٧٦/ق١٣٥) من طريق ابن السني (وله تصانيف) عن الحسين بن عبد الله القطان عن عامر بن سيّار عن أبي الصباح عن عبد العزيز بن سعيد عن أبيه. وأبو الصباح هو عبد الغفور بن عبد العزيز. روى ابن عدي (٣٢٩/٥) عن القطان بالسند ذاته أحاديث، وقال: (وبهذا السند اثنان وعشرون حديثاً)، وأبو الصبّاح قال البخاري: (تركوه، منكر الحديث) واتهمه ابن حبان بالوضع.

٦ – حديث ابن عُمر– رضي الله عنهما: قال العراقي في التخريج (١٣٧): (روي من طريق هشيم بن بشير وأزهر بن سعد السَّمَّان عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن ابن عمر، وقال ابن طاهر في الكشف عن أخبار الشهاب: وهو منكر من حديث ابن عَوْن، والحمل فيه على من قبل هُشيم فإنهم إلى الجهالة أقرب).

٧ – مرسل الزهري: (لا يصلح المَلَقُ إلا للوالدين والإمام العادل) رواه القضاعي في مسند الشهاب (٨٧٠) من طريق ابن الأعرابي في معجمه (–) من حديث عمر بن إبراهيم الكردي (وهو كذاب) عن أحمد بن عبد الله (ولعله الجويباري وهو كذاب) عن الزهري– به. ولم أجده في أحاديث العادلين لأبي نعيم.

٨ – حديث طلق بن علي– رضي الله عنه: قال في حاشية الفردوس (٦٠٧٦): (قال في مسند الفردوس ق١٣٥) فذكر حديث سعيد الشامي ثم قال: (هكذا كان في الأصل وأخبرناه أبو عليّ الحداد أخبرنا أبو نعيم الحافظ أخبرني محمد بن إسحاق في كتابه ثنا إبراهيم بن محمد بن أبي حمزة ثنا سفيان بن محمد ثنا عبد الله بن أيوب عن محمد بن جابر عن قيس بن طلق عن أبيه طلق ابن عليّ– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم– الحديث)!!

٩ – بعض السلف موقوف: قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١٦٨/١) (قال ابن قتيبة: جاء في الحديث: ليس الملق من أخلاق المؤمن إلا في طلب،=

....

= العلم، وهذا أثر عن بعض السلف).

١٠ - وروي عن عُمر- رضي الله عنه- موقوفاً: (إن الملق من الكذب) رواه الدارقطني في المؤتلف (-) بسند منقطع. ومعناه:

- قال أبو عُبيد في الغريب (٤/٤٥٤): (المَلَقُ أن يُنتزع الشيء من موضعه انتزاعاً سهلاً).

- قال أبو موسى المديني في المغيث (٣/٢٢٧): (في الحديث: ليس من خلق المؤمن الملق، الملق: التودد واللطف والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي، وهو ملّاق ومتملِّق. والتملق: التلين، كأنه يريد التكلف لذلك وإراءة الرجل أنه يحبه بخلاف ما في قلبه. وفي حديث آخر: إلا في طلب العلم.

كأنه يريد التضرع: أي لا تضرع للخلق في طلب الدنيا ونحوها إلا في طلب العلم).

- الحديث ساقه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٢/١٤٠) في (باب المنافسة في الحديث بين طلبته وكتمان بعضهم بعضاً للإفادة به) ولم يحسن في السكوت عنه، ولا في إيراده في هذا المعنى المذموم.

- وفي نحو معناه ما صح عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين:

١ - رجل علّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل.

٢ - ورجل آتاه الله مالاً، فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثلما يعمل).

رواه البخاري- رحمه الله تعالى- من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه. ورواه هو ومسلم- رحمهما الله تعالى- من حديث عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عُمر- رضي الله عنهما- مختصراً .

ورواه ابن عساكر من حديث عبد الله بن عَمْرو- رضي الله عنهما (الضعيفة ٢٣٨٠).

[٤] – [فصل في آلات طالب العلم].

قيل: لا يتم العلم إلا بأشياء:

١ – ذهن ثاقب: لأنه سبب الفهم، والبليد لا ينفعه طول التعليم.

٢ – زمان طويل.

٣ – كفاية: لأن الحاجة تميت النفس، وتعذر المعاش مَقْطعة.

٤ – عمل كثير: لأن العلم كثير، والموانع كثيرة، والعمر قصير.

٥ – معلّم حاذق: يعلم بالتقديم والتأخير، فلا يؤخِّر متقدماً.

٦ – شهوة: يكون بها أنشط وأسمح وأقبل للمعاني.

٧ – طبيعة: تعين العقل، وتسهِّل الطريق.(٦)

---

(٦) قلت: وقبل ذلك وبعده ومعه توفيق الله تعالى، فإن وجود الأسباب لا يكفي دون توفيق الله– جل وعلا، وكم من إنسانٍ كملت فيه آلات الفعل ولم يوفق له لوجود الصوارف القوية أو الحسد القاتل ونحو ذلك. ويحضرني قول من قال: (يحتاج طالب العلم أن يكون سريع الأكل سريع المشي سريع الكتابة) يعني ليستفيد من كل دقيقة في عمره، وانظر لنحو ذلك أدب الإملاء (ص١١٥).

– وقال مالك– رحمه الله تعالى: (العلم والحكمة نور يهدي به الله من يشاء، وليس بكثرة المسائل) رواه ابن عبد البر في الجامع (١/١٧–١٨).

– وقد قال الشاعر نحواً مما سبق في الآلات:

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ   سأنبيك عن تفصيلها ببيان

– وذُكر عن عبد الله بن المبارك– رحمه الله تعالى: (لا ينال العلم إلا بالفراغ والمال والحفظ والورع) رواه البيهقي في الشعب (٤/٣٥٩ – ٣٦٠).

– وقال ابن حبان في روضة العقلاء (ص٣٩):

(إن من أجود ما يستعين به المرء على الحفظ الطبع الجيد مع الهمة واجتناب المعاصي، وأنشدني الأبرش: =

[٥] – [فصل في شرف العلم].

أخبرنا الشيخ أبو أحمد عن محمد بن إسماعيل العطّار عن أحمد بن محمد ابن أنس المطوعي عن صالح المري عن مالك بن دينار قال:

قرأتُ في بعض كتب الله أن الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفع المملوك حتى تُجلسه مجالس الملوك.[٧]

= نِعْم عون الفتى الطَّلوب لعلمٍ أو لبعض العقول صحة طبع

فإذا الطبعُ فاته بَطَلَ العلـــــــمُ وصار العناءُ في غير نفع).

(**تنبيه**) ١ – لا يتسربنَّ إليك الشيطان ليصرفك عن طلب العلم بأنك لم تُرْزَقْ طَبْعاً كما يقولون، فإن ذلك لا تعلمه أنت، استعن بالله ولا تعجز، فكم من إنسانٍ عنده الدر ولا يدري به، بل يظنه كالبعر!

٢ – كلمة (الطبع) لا أحبها، وغالباً ما تكون في الفساد والسوء، ولكن الجَبْل والخليقة ونحو ذلك.

٣ – بعض هذه الأسباب يمكن الاستغناء عنه (بالتوكل على الله) و (بالعزيمة) و (القناعة في أمر الدنيا).

(٧) **لا يصح رفعه**، وقد اختلف على المري فيه على وجوه:

١ – عَمْرو بن حمزة البصري عن صالح عن الحسن عن أنس مرفوعاً: (إن الحكمة). قال ابن عدي: (لا يصله غير عَمْرو)، وقال أبو نعيم: (غريب من حديث الحسن، تفرد به عَمْرو عن صالح)، وعَمْرو ضعيف (اللسان ٣٦١/٤).

ومن طريقه رواه ابن عدي (١٤٣/٥/ عَمْرو)، ح وابن حبان في الضعفاء (٣٧٣/١/ صالح) ح والخطيب في الفقيه (٣١/١) عن التنوخي بسنده، ح وأبو نعيم (١٧٣/٦/ صالح) عن أبي أحمد العسّال (له تصانيف)، ح والقضاعي في مسند الشهاب (٩٧٩) من حديث الحسن بن رشيق، ح وابن عبد البر في الجامع (١٨/١) عن خلف بن القاسم– من وجوه عن يوسف بن سعيد بن مسلم عن عَمْرو– به. وأخطأ ابن حبان وأبو نعيم في روايته في ترجمة صالح.

ورواه من حديث أنس– رضي الله عنه:

عبد الغني الأزدي في أدب المحدّث (تخريج الإحياء/١١)، ح والديلمي في مسند الفردوس (٢٧٦٩) لعله من طريق الحلية. =

وحدثنا الشيخ أبو أحمد حدثنا محمد بن الحسن الزعفراني حدثنا ابن

= ٢ - التَرْجُماني عن صالح عن الحسن مرسلاً.

رواه ابن عدي (١٤٣/٥/ عَمْرو).

٣ - المطوعي عن صالح عن مالك بن دينار موقوفاً عليه.

رواه أبو هلال العسكري كما رأيتَ.

ويبدو أن له وجوهاً أخرى، فقد قال العسكري (تخريج الإحياء/١١): (ليس هذا من المرفوع، بل من كلام الحسن وأنس).

- وقد ورد موقوفاً على عبد الله بن العباس- رضي الله عنهما- رفع أبا العالية رفيع بن مهران الرياحي على السرير وقال لمن عنده: (هكذا) أو قال: (إن هذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويجلس المملوك على الأسِرّة).

رواه ابن عساكر (٢٦٩/٦/ق) من طريقين:

١ - الدينوري في المجالسة عن عبد الرحمن بن خراش عن محمد بن الحارث.

٢ - البيهقي (ولم أقف عليه في الشعب) عن الحاكم (؟) عن جعفر الخُلْدي (-) عن محمد بن عبد الله بن سليمان- هو مطيَّن (صاحب التاريخ).

ورواه الخطيب في الفقيه (٣١/١) من طريق القاسم بن محمد .

كلهم عن العلاء بن عَمْرو عن ابن أبي زائدة عن أبي خَلْدة عن أبي العالية عنه.

والدينوري فيه مقال شديد، والإسناد من طريق البيهقي حسن صحيح. وفي رواية الدينوري زيادة: ثم أنشد محمد بن الحارث في أثره:

رأيتُ رفيع الناس من كان عالماً ... وإن لم يكن في قومه بحسيبِ

إذا حلّ أرضاً عاش فيها بعلمه ... وما عالـمٌ في بلدةٍ بغـريبِ

- وقد ذُكر من حكمة لقمان: قال لابنه: يابني، إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك.

رواه ابن عبد البر في الجامع (١٠٧/١) من طريق قاسم بن أصبغ (وله تصانيف) ثنا أحمد بن زهير (ابن أبي خيثمة صاحب التاريخ) ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة عن السري قال: قال لقمان- فذكره.

هذا ومعناه قال ابن عبد البر في الجامع (١٨/١): أخذه الشاعر فقال:

العلم ينهض بالخسيس إلى العُلا ... والجهل يقعدُ بالفتى المنسوب

وشواهد هذا المعنى كثيرة جداً، وانظر لبعض ذلك مفتاح دار السعادة لابن القيم- رحمه الله تعالى (١٦٤/١- ١٦٦/ الوجه ١٣٨ في تفضيل العلم)، والفقيه =

أبي خيثمة سمعت يحيى بن معين يقول: بلغني أن الأعمش قال:

أنا ممن رفعه الله تعالى بالقرآن، لولا القرآن لكان على رقبتي دَنٌّ صحناء أبيعه.[8]

وحدثنا الشيخ أبو أحمد قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الفضل ثنا المبرّد عن الرياشي عن أبي عُبيدة قال: قال أبو الأسود:

ليس شيء أعزّ من العلم، وذلك أن الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.[9]

= للخطيب (١/٣١- ٣٢).

(٨) يعني حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم:
(إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)
رواه مسلم- رحمه الله تعالى- في صحيحه من حديث عُمر- رضي الله عنه.
وقول الله عز وجل:
(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه) الآية
(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات).
هذا غير ما يكون في الآخرة كقول رسول الله- صلى الله عليه وسلم:
«يقال لقارىء القرآن: اقرأ فكلما قرأ آية رقى درجة» الحديث.
والعسكري روى هذا عن الأعمش من طريق ابن أبي خيثمة في تاريخه الكبير، ويحيى إنما بلغه ولم يدرك الأعمش.
ورواه الخطيب في التاريخ (٩/٦)، وشرف أصحاب الحديث (٣٢٠) من طريق ابن السني (وله تصانيف) وغيره من حديث عبد الرزاق (وله تصانيف) عن سفيان الثوري سمع الأعمش، ح وعن عبد الرزاق عن سفيان بن عُيينة عن الأعمش قال: (لو كنت باقلانياً استقذرتموني، ولولا هذه الأحاديث لكنا من البقالين بالسوية).
وهذا صحيح عن الأعمش، وورد نحوه عن غيره.
والصحناء: السمك الصغار.

(٩) أبو الأسود هو الدؤلي تابعي كبير ثقة يروي عن عُمر وعلي رضي الله عنهما، وليحرر سماع أبي عبيدة مَعْمر بن المثنى منه.
وقد علقه ابن عبد البر في الجامع (١/٦٠)، وابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/١٢١)=

ونحن نقول: إن صاحب السلطان إذا نظر حق النظر، لم يَمْنح سلطانَهُ عوضاً عن العلم، فإن عِزَّ صاحب السلطان إنما يدوم له ما دام في سلطانه، فإذا زال عنه ذَلَّ، وعِزُّ العالمِ يدومُ له في حياته وبعد وفاته، ولهذا كان فضلاء السلاطين يجتهدون في طلب العلم مع كثرة أشغالهم وانغماسهم في الدنيا.(١٠)

وحدثنا الشيخ أبو أحمد غيرَ مرة قال: لما فارقت أبا الفضل الحسين ابن العميد وكان بالري مبادراً نحو عسكر مكرم لأمر حدث في أهلي واجتزتُ

= عن أبي الأسود.

هذا في (العلماء) ولا يكون المرء عالماً حتى يكون كما قال الله تعالى: (إنما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ) : ثبتاً في علمه، وعلمه هو الكتاب والسنة لا الفلك والنجوم والقيل والقال، لا يبيع علمه بعرض من الدنيا قليل وكل الدنيا عَرَضٌ قليل! قد قال الله تعالى: (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله) (لا يخافون في الله لومة لائم) لذلك خافهم كل الناس.

أما علماء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون؛ بل في زماننا منهم الكثير ممن لا يقول الحق ولا يفعله! فهؤلاء ليسوا بحكام إلا على شرار الناس: الجُهَّال من العوام، وهم عبيد للسلاطين: اليوم يحرّمون الحلال بأمرهم، وغداً يحلّلون الحرام بأمرهم- وهكذا ففتاويهم حاضرة حضور الدينار والدرهم والجاه والمنصب، هان العلم عليهم فقبلوا المال عنه، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، فقد كان ما قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم:- «إن الله ينتزع العلم بانتزاع العلماء حتى إذا لم يُبْق عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً».

وكما قال بلال بن سعد رحمه الله تعالى وكان من التابعين:

(عالمكم جاهل، ومجتهدكم مقصر، وزاهدكم راغب)، فالله المستعان.

(١٠) القصص في هذا كثيرة وقت أن كان أهل العلم يصونون أنفسهم عن النفاق وأبواب السلاطين، لكن لما وقعوا فيما وقعوا فيه ذلوا وهانت قيمة العلم عند السلاطين وعند الناس.

وذُكِر عن هارون العباسي قال: (أنبل المراتب رجل في حلقة يقول: حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم، هذا خير مني لأن اسمه مقترن باسم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لا يموت أبداً، ونحن نموت) وقال في مجلس الحديث: (هذا المُلْك).

وانظر مفتاح دار السعادة لابن القيم- رحمه الله تعالى (١/١٦٥ و ١٦٧).

بأصبهان اغتنمني الصاحب ابن عباد، أبو القاسم، وسألني المُقامَ عليه، فذكرتُ له الأمرَ الذي من أجله فارقتُ حضرة أبي الفضل والضرورة التي دعت إلى المسارعة نحو الوطن، فأبى أن يعذرَني في الخروج عنه، وأخبر مؤيّد الدولة بخبري وعرّفه صدقَ حاجتِه إلى الاستكثار مني، فأمر فنودي بأصبهان: برئت الذمة من رفقة تخرج إلى خوزستان مدة سنة، فاجتمع تجار العسكر وغيرُهم إليّ، وسألوني إجابته إلى المقام معه القدر الذي أريده، ليفسح لهم في الخروج والتصرف في أمورهم، فلم أجد بداً من ذلك، فأقمت معه حتى قرأ كتاب «الجمهرة» وكتاب «الاشتقاق» و «أمالي ابن دريد» وغيرها، وعملتُ له كتاب «أقسام العرب»، ثم انصرفت، وأنا شاكرٌ له ذاكر برّه.(١١)

قال أبو هلال:

ولو أن الجاهل بيَّن نقيصةَ الجهل من نفسه لفزع إلى... في التعلم

---

(١١) قال العسكري: (فضلاء السلاطين) ثم ذكر الصاحب إسماعيل بن عبّاد وزير مؤيد الدولة بويه، لقب بالصاحب لصحبته الوزير ابن العميد، وقد مات سنة (٣٣٥)، وكان من أعلام دولة الروافض البويهيين.

وكان شيعياً معتزلياً مبتدعاً جباراً جهمياً جَلْدا في جهميته ذُكِر له البخاري- رحمه الله تعالى، فقال: ومن هو!؟ حَشْوي لا يعوَّل عليه! (السير ١٦/٥١٢).

فلعنة الله على الجهمية أجمعين، وما أدري أي خير فيمن يمدحهم ويشكرهم إلا أن يكون مثلهم أو كما قال الله تعالى: (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء).

ثم هذا علمه: الجمهرة والاشتقاق وغيرها من كتب اللغة، وقد ترك تعلم دينه حتى صار في علمه به أنزل من الطفل الصغير الذي في الكُتّاب، فالحمد لله على الإسلام والسنّة.

فلا يغرنك من مبتدعٍ كرماً ولا سخاءً ولا حُسْن خُلُق ولا محاسن أفعال، فإن العبرة بالدين، وإلا فعندك في النصارى ما تعلم وفسد دينهم ففسد عليهم كل شيء، والخوارج فسد دينهم فلم تنفعهم عباداتهم، فانتبه.

ولكنه كآكل الثوم، لا يشمُّ من نفسه منه، وإنما يشمه غيره ويتأذى به سواه، والفضيحةُ بالجهل عظيمة، والغُبْنُ به كثير لو عرفه الجاهل، ولا يرضى بالجهل إلا من هانت عليه نفسه فلا يبالي أن يُهجى ويُستخف به ويُسخر منه وأعطى حقه منه ذلك، ومن أكرمَهُ إلا عند ضرورة فقد وضع الإكرامَ في غير موضعه.

* * *

[٦] - [فصل في الصبر على طلب العلم والمداومة عليه].

أخبرنا الشيخ أبو أحمد حدثنا أبو بكر السرّاج النحْوي قال: قال لنا إبراهيم بن البحتري: قال لنا عُمر بن شبَّة:

كنا نكون عند الأصمعي، فيجيىء أصحابنا: الرياشي، والزيادي، والمازني، والجَرْمي، والسِّدْري، والسجستاني، والخَلْق.

فيجلس في دهليزه، وفي الدهليز تراب قَدْر عَظْم الذراع، فتسفي الريحُ علينا التراب، فيدخل في رءوسنا.

فقال لنا يوماً وقد رأى ما نحن فيه:

كان يقال: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرضُ- ومعناه أن الرياح تجلب تراباً من أرضٍ غريبة إلى أرضٍ أخرى.

قال الأصمعي:

فشعوركم الآن تزكو بهذا التراب.

فقال الرياشي: انظروا إلى ابن الفاعلة: ما يصنع بنا، وكيف يستخفّ بنا، ويسخر بنا!

قال أبو هلال: سميت الرياح المؤتفكات، وسمّي الكذب إفكاً، وأصل هذه الكلمة عدم التماسك.(١٢)

---

(١٢) **إسناده محتمل**، والرياشي هذا لم يحسن أدب المسلم ولا أدب التلميذ، فهي: مداعبة من الشيخ، وفائدة في العلم.
وقد ورد ذكر المؤتفكات في كتاب الله تعالى في سورة التوبة (٧٠) والحاقة (٩)، وهم الأمم المكذّبة برسلهم. =

أخبرنا الشيخ أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا عبد الرحمن قال: سمعت عمي يحدّث قال:

سَهِرتُ ليلةً من الليالي بالبادية، وأنا نازلٌ على رجلٍ من أهل القصيم، وكانَ واسعَ الرَّحْل، كريمَ المَحَلِّ، فأصبحتُ وقد عزمتُ على الرجوع إلى العراق، فأتيتُ أَبا مَثْواي، فقلتُ: إني هَلَعْتُ من طول الغربة، واشتقتُ أهلي، ولم أفد في قَدْمتي هذه إليكم كبيرَ عِلمٍ، وإنما كنتُ أغتَفِرُ وحشةَ الغُرْبةِ وجفاء البادية للفائدة.

فأظْهَرَ توجعاً. ثم أبرزَ غداء، فتغديتُ معه، ثم أمَرَ بناقةٍ له مَهْرِيةٍ، كأنها سبيكةُ لُجين فارتَحَلهَا، ثم رَكِبَ وأردفني وأقبلها مَطْلِعَ الشمس، فما سرنا كبيرَ مسيرٍ حتى لقِينَا شيخٌ على حمارٍ، فسلم عليه وقالَ:

يا ابن عم! أتُنْشِدُ أمْ تقول؟

فقال: كلا.

قال: فأناخ، وقال:

خُذْ بيدِ عمِّك فأنزله عن حماره، ففعلتُ.

فقال: أنشدنا، رحمك الله، وتصدق على هذا الغريب بأبيات يَعِيَهُنَّ عنك، ويذكركَ بهن.

= قال صاحب معجم مقاييس اللغة (١/١١٨): (أفك: أصل واحد يدل على قلب الشيء وصرفته عن جهته، والإفك: الكذب... والمؤتفكات: الرياح التي تختلف مهابّها يقولون: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض). هذا ورضي الله عن عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي وابن عم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان يتوسد باب الأنصاري في الظهيرة والريح تسفي عليه التراب ينتظره حتى يخرج ليسأله عن حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم!

فهذا هو الأدب وهذا هو العلم.

فقال: إيها... الله أكبر، وأنشد:

لقد طال يا سوداءُ منكِ المواعدُ ... ودُونَ الجَدَى المأمولِ منكِ الفراقدُ
تُمَنّينَنا غَدْواً وغيمكُم غداً ... ضبابٌ، فلا صَحْوٌ ولا هو جائدُ
إذا أنتَ أُعطيتَ الغِنَى ثم لم تَجُدْ ... بفضْلِ الغِنَى أُلفيتَ مالكَ حامدُ
وقَلَّ غَنَاءً عَنْكَ مالٌ جمعتَه ... إذا صار ميراثاً وواراكَ لاحدُ
إذا أنت لم تَعْرُكْ بجنبك بعضَ ما ... يَريب من الأدنى رماكَ الأباعدُ
إذا أنت لم تتركْ طعاماً تحبُّه ... ولا مجلساً تدعى إليه الولائدُ
تحللتَ عاراً لا يزال يُشينُهُ ... سِبَابُ الرجال؛ نثْرهم والقصائدُ.

وأنشدني أيضاً:

تَعَزَّ فإن الصبرَ بالحُرِّ أجملُ ... وليس على رَيْبِ الزمانِ مُعَوَّلُ
فإن تكن الأيامُ فينا تبدّلَتْ ... ببؤسى ونعمى والحوادثُ تفعَلُ
فما لَيَّنَتْ منّا قناة صليبةً ... ولا ذَلَّلَتْنَا للتي ليسَ يجمِلُ
ولكن رَحَلْنَاهَا نفوساً كريمة ... تُحَمَّلُ ما لا تستطيعُ فَتَحْمِلُ
وَقَيْنَا بعزْمِ الصبرِ منا نفوسَنا ... فَصحَّتْ لنا الأعراضُ والناسُ هُزَّلُ

قال الأصمعي:

فقمتُ، والله، وقد أنسيتُ أهلي، وهان عليّ طولُ الغُربةِ، وشَظَفُ العيش، سروراً بما سمعتُ، ثم قال:

يا بني، من لم يكن استفادة الأدب أحبَّ إليه من الأهل والمال لم يَنْجُبْ.

قال أبو هلال: شَظَفُ العيش: شدّته وخشونته.(١٣)

---

(١٣) **إسناده صحيح**، وعم عبد الرحمن هو الأصمعي عبد الملك بن قُرَيْب اللغوي المشهور.
فخذها فوائد فرائد من قولة ذلك الشيخ وقصيدتيه، وقد قال رسول الله =

ومن عرف العلمَ وفضلَه، لم يقض نهمتَه منه، ولم يشبع من جمعِه طولَ عُمُره، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبرنا به الشيخ أبو أحمد، عن ابن منيع، عن أبي خيثمة، عن جرير، عن الليث، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«مَنْهُومانِ لا يقضي واحدُ منهما نَهْمَتَه: منهومٌ في طلب العلم، ومنهومٌ في طلب الدنيا»(١٤).

وقيل: يا رسول الله من أجوع الناس؟ قال: «طالبُ العلم»، قيل: فمن أشبعُهُم؟ قال: «الذي لا يبتغيه»

= صلى الله عليه وسلم:- «إن من الشعر لحكمة».

وهذا كله قد هان على الأصمعي في هذه الفوائد وهي وإن كانت جليلة، لكن قد كان أعظم منها على أصحاب الحديث فرحلوا وأفلسوا في طلب حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم، فوالله إنهم لخير الناس إن عملوا بما علموا، فما أشبههم في زمانهم- إن صدقوا الله تعالى- بصحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في زمانهم، وقد قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» و «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم».

(١٤) **صحيح لطرقه**، وقد ورد عن جماعة من الصحابة- رضي الله عنهم .

١ - حديث عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما.

- رواه العسكري أبو هلال عن أبي أحمد عن ابن منيع وهو البغوي عبد الله بن محمد (ولثلاثتهم تصانيف) عن أبي خيثمة زهير بن حرب في كتاب العلم (١٤١)، ح ورواه إسحاق بن راهوية في مسنده (٣٠٥٠/ المطالب)، ح ورواه ابن أبي عاصم في الزهد (٢٨٥)، والبزار (١٦٣/ زوائد) كلاهما عن يوسف بن موسى، ح ورواه الطبراني في الكبير (١١/٧٦- ٧٧) والأوسط (-) عن مطيّن (وله تصانيف) عن محمد بن إسحاق الرازي- كلهم عن جرير بن عبد الحميد.

ورواه الدارمي (٣٤١) عن إسماعيل بن أبان عن عبد الله بن إدريس.

ورواه ابن الجوزي في العلل (١١٢) من طريق ابن رزقوية من حديث قتيبة بن سعيد.

= كلهم (جرير وعبد الله وقتيبة) عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد (قال ابن إدريس: طاوس وشك قتيبة بين مجاهد وطاوس) عن عبد الله بن عباس (وقفه ابن إدريس، وقال جرير: أحسبه رفعه) - به.

قال البزار: (ليث أصابه شبه الاختلاط، فيبقى في حديثه لين، ولا نعلمه يُروى من وجه أحسن من هذا).

٢ - حديث أنس- رضي الله عنه -.

- رواه ابن عدي (٢٩٦/٦)، ح ورواه البيهقي في الشُعب (١٠٢٧٩)، والمدخل (٤٥٠) عن جماعة كلهم عن إبراهيم بن يوسف الهسنجاني (وله مسند).

ورواه ابن الجوزي في العلل (١١٣) من طريق ابن عدي (٢٩٦/٦) عن محمد بن حميد بن يزيد.

ورواه ابن عدي (٢٩٦/٦) عن ابن ذريح.

ثلاثتهم عن عبد الأعلى بن حماد عن حماد بن سلمة عن حميد عن أنس (إلا ابن ذريح قال: عن حميد عن الحسن) عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عدي: (هذا حديث الهسنجاني سرقه منه محمد بن أحمد بن يزيد، وصحَّف فيه الهسنجاني الحسن فجعله أنساً، وحدثناه ابن ذَرِيح مرسلاً عن الحسن).

ومع ذلك ولعجلة ابن الجوزي وعدم تحريره روى من طريق ابن عدي عن ابن يزيد وقال: (يسرق الحديث) ولم يذكر باقي الكلام!! وأيضاً لم يجمع طرقه عن أنس كما سترى! فلذلك وأمثاله كثير سقطت منزلة ابن الجوزي في الحديث، كما سقطت في الاعتقاد لجهميته الشديدة التي انتصر لها في كتب مفردة!

والهسنجاني ومحمد بن صالح بن ذَرِيح كلاهما ثقة، وللوجهين (عن أنس) و (عن الحسن) متابعات - فلا أدري ما الذي جعل ابن عدي يرجح رواية ابن ذَريح ويجزم بتصحيف الهسنجاني! فعلى رواية الهسنجاني فالإسناد صحيح متصل، وعلى رواية ابن ذريح فهو مرسل صحيح.

- ولحديث أنس- رضي الله عنه- طريق آخر:

فقد رواه الشجري في أماليه (١٦٦/٢) من طريق أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد المفيد عن أبي عبد الرحمن النسائي (وليس في سننه).

ورواه الحاكم (٩٢/١) عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الجوهري عن محمد =

....

= ابن إسحاق بن خزيمة (وليس فيما نُشر من صحيحه).

ورواه البيهقي في المدخل (٤٥١) عن الحاكم (٩١/١ - ٩٢) ثنا علي بن حمشاذ العدل في مسند أنس (يعني من مسنده) ثنا يحيى بن منصور الهروي.

كلهم قالوا ثنا أحمد بن نصر النيسابوري ثنا سُريج بن النعمان ثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس- به.

قال الحاكم: (صحيح على شرطهما، ولم أجد له علة) ووافقه الذهبي، وفيه عنعنة قتادة. ولم يقع هذا لابن الجوزي فحكم على الحديث بالوضع لعجلته!

ورواه الديلمي (٦٥١٤) ولم أقف على سنده، ولم أجده في مسند أنس من المختارة للضياء، وليحرر من مسنده في علل الدارقطني.

٣ - حديث عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه.

- رواه الطبراني (٢٢٣/١٠)، ح ورواه القضاعي (٣٢٢) عن ابن جامع- كلاهما عن علي بن عبد العزيز البغوي (وله مسند).

ورواه ابن عدي (١٣٩/٤) من طريق محمد بن مسلم بن وارة.

ورواه ابن الجوزي في العلل (١١١) من طريق ابن رزقوية عن مكرم، ح ورواه ابن حبان في الضعفاء (٢٢/٢) عن عبد الرحمن بن إسماعيل كِلاهما عن محمد بن سليمان الواسطي الباغندي (صاحب التصانيف).

كلهم عن عَمْرو بن عَوْن الواسطي عن أبي بكر عبد الله بن حكيم الداهري عن إسماعيل بن أبي خالد عن زيد بن وهب عن عبد الله- به.

والداهري قال ابن عدي: (ليس يرويه عن إسماعيل غيره) وهو ضعيف جداً بل متهم بالكذب. وقال ابن وارة: (يُروى من وجه آخر) يعني عن ابن مسعود- رضي الله عنه.

- وقد رواه الدارمي (٣٣٩)، ح ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ٤٥٩/٨/ العلق) عن زيد بن إسماعيل الصائغ، ح ورواه البيهقي في المدخل (٤٤٩) عن الحاكم (وله تصانيف) عن الأصم عن محمد بن عبد الوهاب الفرّاء.

كلهم عن جعفر بن عون أخبرنا أبو عُمَيْس عن عَوْن (إلا الفرّاء جعله: القاسم) قال: قال عبد الله: آفة الحديث النسيان (تفرد بذلك المتن الفرّاءُ). =

= وقال عبد الله:
منهومان لا يشبعان: صاحب العلم، وصاحب الدنيا.
ولا يستويان:
فأما صاحب العلم فيزداد رضى للرحمن.
وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان.
ثم قرأ عبد الله: (إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى) [العلق/٦].
قال: وقال للآخر: (إنما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ) [فاطر/٢٨].
قال البيهقي: (هذا موقوف، وهو منقطع) يعني بين عبد الله والراوي عنه، وإسناده إليه صحيح، فمثله لا يُهْمَل خاصة أن القاسم وعَوْناً من أعلم الناس بعبد الله- رضي الله عنه.
٤ - مرسل الحسن البصري وموقوفه- رحمه الله تعالى.
- سبقت رواية ابن ذَرِيح من حديث حميد عن الحسن مرسلاً.
- ورواه العسكري في المواعظ (المقاصد/١٢٠٦) من طريق خالد بن الحارث عن عوف عن الحسن مرسلاً: (أيها الناس إنما هما منهومان) الحديث.
- ورواه الدارمي (٣٣٨): أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي عن عُبيد الله بن عَمْرو عن زيد - هو ابن أبي أنيسة- عن يسار عن الحسن قال:
منهومان لا يشبعان:
منهوم في العلم لا يشبع منه، ومنهوم في الدنيا لا يشبع منه.
فمن تكن الآخرة همّه وبثّه وسَدَمه يكفي الله ضيعته ويجعل غناه في قلبه.
ومن يكن الدنيا همه وبثه وسدمه يغشي الله عليه ضيعته ويجعل فقره بين عينيه، ثم لا يصبح إلا فقيراً، ولا يمسي إلا فقيراً.
قلت: إسناده موقوف صحيح إن كان يسار ثقة، فقد ذكره ابن أبي حاتم في كتابه (٣٠٧/٩) عن أبيه (يسار بن عبد الرحمن أبو الوليد عن جابر وعنه زيد)، وذكره في التهذيب أنه اخْتُلِف في اسمه: فقال أبو حاتم: يسار، وقال ابن حبان غير ذلك.
وآخره: (من كانت الدنيا) رواه أبو داود في كتاب القدر المفرد (تهذيب المزي ٢١٤/٧) من طريق الليث بن سعد عن حُكيم بن عبد الرحمن- وهو =

= أبو غسان عن الحسن مرسلاً.

ورواه ابن عدي (٢٨٥/١) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس مرفوعاً، وله طرق عن أنس وغيره.

٥ - موقوف كعب الأحبار.

علقه البيهقي في المدخل (٤٥٢)، ورواه شيخه الحاكم (٩٢/١) عن ابن السماك (وله أجزاء)، عن ابن المنادي (وله تصانيف) عن روح بن عبادة عن كهمس عن عبد الله بن شقيق قال: جاء أبو هريرة إلى كعب فقال كعب: أما إنك لم تجد أحداً يطلب شيئاً إلا يشبع منه يوماً من الدهر إلا طالب علم وطالب علم. قال الحاكم: صحيح على شرطهما، قال الذهبي: منقطع.

٦ - موقوف الزهري أو غيره.

رواه عبد الرزاق عن مَعْمر في جامعه (٢٥٦/١١) عن الزهري أو غيره موقوفاً.

● فتحصل عندنا (حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- مرفوعاً أو موقوفاً وفيه ليث) و (حديث أنس- رضي الله عنه- فله طريقان أحدهما فيه اختلاف والآخر فيه عنعنة قتادة) و (حديث ابن مسعود- رضي الله عنه- وله طريقان مرفوع واهٍ وموقوف منقطع) و (مرسل الحسن- رحمه الله- وهو صحيح، وموقوفه وفيه نظر). فالحديث بذلك صحيح مرفوع.

● وله شواهد في ذكر العلم:

١ - حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه.

رواه الترمذي (٢٦٨٦) عن عُمر بن حفص، ح ورواه ابن خزيمة (علّقه عنه البيهقي في الشعب/ ١٢٣١) عن يونس، ح ورواه ابن حبان في صحيحه (٩٠٠ و ٢٤٢٢ و ٣٣٦٧/ الترتيب)، وابن عدي (١١٤/٣/ دراج) كلاهما عن ابن سَلْم عن حرملة (وله سنن)، ح ورواه الحاكم (١٢٩/٤- ١٣٠) عن الأصم عن ابن عبد الحكم، ح ورواه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٠) عن يحيى بن سليمان، ح ورواه القضاعي (١٨٩٧) من طريق ابن شاهين (صاحب الترغيب وغيره) بسنده عن محمد بن رَوْح القتيري، ح ورواه أبو نعيم في التاريخ (٢٣٦/١) من طريق محمد بن بكير، ح ورواه سعيد بن منصور في سننه (كنز/٨٤١) =

= بسنده، ح ورواه العسكري في المواعظ (المقاصد/١٢٠٦) بسنده، ح ورواه الديلمي (٧٧٨٢ و ٧٨٢٨) بسنده، ح وعلّقه ابن عبد البر في الجامع (١/١٠٠)، ح ورواه غيرهم (جلاء الأفهام/ الموطن ٣٨ من الصلاة) عن عبد الرحمن بن عيسى وهارون بن معروف.

كلهم عن عبد الله بن وهب (وله الجامع الموطأ) عن عَمْرو بن الحارث عن درّاج حدثه أبو الهيثم حدثه أبو سعيد الخدري- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم قال:

أيما رجل مسلم كسب مالاً من حلالٍ فأطعم نفسه أو كساها فمَنْ دونه مِنْ خلق الله فإنها له زكاة.

وأيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه: «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات».

فإنها له زكاة.

قال: وقال:

(لا يشبع عالم من علم) وفي رواية: (لن يشبع المؤمن من خيرٍ يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة).

قال الترمذي: (حسن غريب)، وصححه الحاكم وابن خزيمة وابن حبان والذهبي.

وفيه درّاج قال النسائي: منكر الحديث، وقال أحمد: (أحاديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد فيها ضعف).

لكن قال يحيى بن معين: (دراج ثقة) و (أحاديثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد: ما كان بهذا الإسناد فليس به بأس).

قلت: هو حسن لم يعدّه ابن عدي من مناكير دراج، ومتناه لهما شواهد كثيرة جداً، فالأول منهما له شاهد في الصحيح: (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها حتى اللقمة تضعها في فيِّ امرأتك) وغير ذلك، وأمر الصدقة له شاهد ليس بذاك عند الطبراني من حديث عبادة- رضي الله عنه: (من استغفر للمؤمنين) ولمعناه شواهد صحاح كثيرة «من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً» وغير ذلك. =

= ٢ - حديث جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما.

رواه القضاعي (٢٠٥) من طريق أبي يعلى (١١٤/١) عن عقبة عن مَسْعدة عن شبل عن عَمْرو بن دينار عن جابر عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم وقد سُئل من أعلم الناس، فقال:

من يجمع علم الناس إلى علمه، وكل صاحب علمٍ غرثان.

والغرثان: الجوعان.

ومَسْعدة متهم بالكذب.

وحديث جابر- رضي الله عنه: رواه ابن السني (كنز ٢٨٩٣٥/ وليس في عمل اليوم والليلة له) والديلمي (٤٧٧٩).

وانظر تذكرة الموضوعات (ص٢٢).

٣ - عبد الله بن عُمر- رضي الله عنهما.

رواه أبو نعيم في التاريخ (٢٥٩/١)، وكتاب العلم (كنز ٢٨٦٨٤) عن أبي الشيخ (وله تصانيف) عن ابن الجارود عن الحسن بن الفضل عن عفان عن محمد بن الحارث عن ابن البيلماني عن أبيه عن ابن عُمر- رضي الله عنهما- قال: سئل رسول الله- صلى الله عليه وسلم: أي الناس أجوع؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (طالب العلم) فقيل: فمن أشبعهم؟ قال صلى الله عليه وسلم: (الذي لا يبتغيه)

وهذا إسناد واهٍ: محمد بن عبد الرحمن بن البَيْلماني:

قال البخاري وغيره: منكر الحديث، وقال ابن عدي: (كل ما يرويه فالبلاء فيه منه، وإذا روى عنه محمد بن الحارث فهما ضعيفان) وقال ابن حبان: (روى عن أبيه نسخة موضوعة).

٤ - حديث عائشة وأبي هريرة- رضي الله عنهما.

- رواه حسين بن علوان (علقه الذهبي في الميزان).

ورواه ابن عدي، وابن حبان، والعقيلي في الضعفاء، وابن عساكر، والرافعي في قزوين (٤٩٤/٣)، والديلمي (١٥١٦)، والطبراني في الأوسط وغيرهم من طريق عبد السلام بن عبد القدوس.

كلاهما عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة- رضي الله عنها - عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم:

أربع لا يشبعن من أربع: عين من نظر، وأرض من مطر، وأنثى من ذكر، =

= وعالم من علم.

وهو موضوع على هشام: حسين وعبد السلام متهمان.

- ورواه ابن الجوزي (١/٢٣٤) من طريق أبي نعيم (٢/٢٨١) من حديث محمد بن الفضل بن عطية عن التيمي عن محمد بن سيرين.

ورواه ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من طريق محمد بن الحسن بن زبالة عن عبد الله بن محمد بن عجلان عن أبيه عن جده.

كلاهما عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - به.

ورواه الحاكم في تاريخ نيسابور من حديثه.

وابن عطية وعبد الله كلاهما متهم، وكلاهما تفرد بهذا السند.

- ورواه الخرائطي في اعتلال القلوب (اللآليء ١/١٠٩) من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي من قوله.

وأبو معشر فيه ضعف يحتمل في مثل هذا إذا سلم الإسناد إليه.

● وله شواهد في ذكر الدنيا:

أصحها وأشهرها ما في الصحيح عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (لو كان لابن آدم وادٍ من مالٍ لابتغى إليه ثانياً، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف (رواية: عين) ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب).

رواه البخاري ومسلم من حديث أنس وابن عباس- رضي الله عنهم.

ورواه البخاري من حديث عبد الله بن الزبير- رضي الله عنهما.

ورواه أحمد وابن حبان من حديث جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما.

ورواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه.

ورواه أحمد من حديث أبي واقد- رضي الله عنه.

ورواه البزار والبخاري في تاريخه من حديث بريدة- رضي الله عنه.

● وفي معناه في طلب العلم انظر الجامع لابن عبد البر (١/٩٥- ١٠٠).

وقد روي بإسناد ضعيف منقطع عن أبي هريرة- رضي الله عنه- موقوفاً: (لأن أخرج في شيء من طلب العلم أريد صلاحي وصلاح من أعود إليه أحب إليَّ من صيام حَوْل وقيام حَوْل، لأن الشيطان قال لابن آدم: ليتك تعملُ فيما =

وقال سعيد بن جبير:

لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك كان أجهل ما يكون.

قلت:

وإن أنت لم تبغ الزيادة في العُلا ... فأنت على النقصان منهن حاصلُ

وقال سفيان:

من ترأسٍ سريعاً أضرَّ بكثير من العلم، ومن لم يترأس طلب وطلب حتى بلغ(١٥).

حدثنا الشيخ أبو أحمد عن نِفْطُوية عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال: قال رقبة للأعمش:

إن إتيانك لذلٌّ، وإن الجلوس عندك لحسْرة، وما أشبّهك إلا بدواء

= علمت!، فيبطِّئه عن العلم، ولو كان يُكتفى بعلمٍ لاكتفى كليم الله وعنده الألواح فيها تفصيل كل شيء قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمتَ رشداً!)

رواه البيهقي في الشعب (٤/٣٤٩- ٣٥٠) من طريق الأصم (وله فوائد) بسنده عن قتادة عن أبي هريرة- رضي الله عنه- موقوفاً.

(١٥) ونحو هذا ما صح عن عُمر رضي الله تعالى عنه- قال: (تفقهوا قبل أن تُسَوَّدُوا) علَّقه البخاري- رحمه الله تعالى- في كتاب العلم- من صحيحه (باب الاغتباط في العلم والحكمة) وقال: (وبعد أن تسوّدوا، وقد تعلم أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في كبر سنّهم). ولهذا المعنى تفصيل كثير اطلب بعضه في شرح الصحيح (١/١٦٥- ١٦٦)، وسبق: (منهومان لا يشبعان).

- وما ذُكِر عن سعيد رواه ابن عبد البر في الجامع (١/٩٦) من قول ابن أبي غسان: (لا تزال عالماً ما كنتَ متعلماً، فإذا استغنيت كنت جاهلاً).

- وصح عن سفيان بن عُيينة- رحمه الله تعالى: (أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله) رواه الدارمي (٣٣٧) بسند صحيح.

المشي: يُحتمل ما فيه من الكراهة لما يُرجى فيه من المنفعة.(١٦)

وأخبرنا الشيخ أبو أحمد عن إبراهيم بن حميد بن كردوس قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: من غاب خاب وأكل نصيبه الأصحاب.(١٧)

قلت:

أَوَمـــا سمعتَ مقـــالهم   مـن غـاب غـاب نصيبُـهُ

(١٦) مسلسل باللغويين وأحمد هو ثعلب، وقد توبع ابن الأعرابي عيه: رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٣١٢) من طريق محمد بن مخلد (وله أجزاء) بسنده عن أبي عوانة قال: جاء رَقَبَةُ بن مَصْقلةَ إلى الأعمش فسأله عن شيء، فكلّح وجهه، فقال له رقبة: أما والله ما علمتُك لدائم القطوب، سريع الملال، مستخفّ بحق الزوّار، لكأنما تُسعط الخَرْدل إذا سُئلت الحكمة.

وإسناده حسن.

ورواه الخطيب في الجامع (١٤١٨) من وجه آخر عن الهيثم بن عدي قال: أتى رقبةُ الأعمش وهو معلّق نعليه في إصبعه.

فقال: يا أبا محمد، كيف أصبحت؟ قال: بخير، رحمك الله.

قال: يا أبا محمد، كنتُ الساعة في دار العطّار فأطرفني رجلٌ عنك حديثاً، فاستخفني ذاك، حتى أتيتك حافياً معلّقاً نعلي في إصبعي.

قال: لا تشمّه بأنفك اليوم، فارجع من حيث جئتَ!

قال: يا أبا محمد، تغافل لنا هذه المرة!

قال: أكره أن أعوّد نفسي الغفلة!

قال: يا أبا محمد، إن في ذلك لأجراً!

قال: ما كل الأجر أطيق!!

قال: يا أبا محمد، إنك ما علمتُ لشرس الخليقة- فذكره.

فقال له الأعمش: لسنا من السجّاعين في شيء، فالحق بأهلك.

والهيثم فيه مقال شديد. ورواه ابن حبان في الثقات (٨/٨و٩) من حديث رقبة نفسه، وفيه طُول.

(١٧) رواه الخطيب في الجامع (١٤٢٤ و ١٤٢٥) من طريق هارون الحمّال وابن أبي الخناجر- كلاهما عن يزيد بن هارون- به فيمن فاته المجلس.

ورواه قبلهما (١٤٢٣) من طريق ابن المقرئ (وله فوائد) من حديث الحارث ابن أبي أسامة قال: كان يزيد إذا جاءه من فاته المجلس قال: يا غلام، ناوله المنديل.=

[٧] – [فصل في الحفظ: كيف يكون؟].[18]

[١] – كان ابن شهاب لا يأكل التفاح، وعند الأطباء أن التفاح يملأ المعدة لزوجات تشغل وتُنسي.

– وكان يشرب العسل، ويقول: إنه يُذَكِّي.

– وكان ابن الأنباري يؤتى بالرُّطَب، فيقول له: (ما أطيبك وما أحلاك!، والعلم أطيب منك وأحلى)!، ولا ينال منه.

– ورأى بعضهم ابنه يأكل باذنجانة، فقال له: ألقها ولك دينار.

[٢] – وقال بعضهم: ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه في الدرس.

– وقال آخر: ينبغي أن يؤخِّر الإنسان درسه للأخبار والأشعار لوقت ملله.

[٣] – والحفظ لا يكون إلا مع:

١ – شدة العناية.

٢ – وكثرة الدرس، وإذا لم يكن درس لم يكن حفظ.

٣ – وطول المذاكرة، وإذا لم تكن مذاكرة قلَّتْ منفعة الدرس.

[٤] – وكان الخليل بن أحمد– رحمه الله– يقول:

الاحتفاظ بما في صدرك أوْلى من دَرْس ما في كتابك.

واجعل كتابك رأس مالك، وما في صدرك للنفقة.

حدثنا أبو أحمد عن الصُّولي عن الجمحي قال: قال التَّوزي: سمعت

= يعني ليجفف عرق الخجل والخسارة!

ولي في هذا المعنى بعض تفصيل في كتابي المذيّل على معجم المناهي اللفظية.

(١٨) قد ذكرتُ ما في هذا الباب بأسانيده ومعانيه في كتاب الخطيب ها هنا في هذا الجامع.

أبا عُبيدة يقول:

اختلفت إلى يونس أربعين سنة كل يوم، أملأ ألواحي من حفظه وأنصرف![19]

وقال الزهري: إن الرجل ليطلب وقلبه شعب من الشعاب، ثم لا يلبث أن يصيرَ وادياً، لا يوضع فيه شيء إلا التهمه.

قلنا: يريد أن أول الحفظ شديد، يشق على الإنسان، ثم إذا اعتاد سَهُل. ومصداقُ ذلك ما أخبرنا به الشيخ أبو أحمد عن الصُولي عن الحارث بن أبي أسامة قال: كان العلماء يقولون: كلُّ وعاء أفرغتَ فيه شيئاً فإنه يضيق، إلا القلب، فإنه كلما أُفرغ فيه اتسع.[20]

وقال أبو السمح الطائي: كنت أسمعُ عمومتي في المجلس يُنشدون الشعرَ، فإذا استعدتُهم زجروني وسبّوني، وقالوا: تسمعُ شيئاً ولا تحفظُه؟

قال الشيخ: وكان الحفظ يتعذر عليّ حين ابتدأتُ لُرومه، ثم عودتُّه نفسي، إلى أن حفظتُ قصيدةَ رُؤْبة: «وقاتم الأعماق خاوي المُخْتَرق» في ليلة، وهي قريب من مائتي بيت.

وقد قال الشعبي: ما وضعتُ سوداء في بيضاء قط، ولا حدَّثني أحدٌ

(١٩) هذا في اللغة، أما في أحاديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأمر الحفاظ أعجب من ذلك، وترى بعضه في كتاب (الحث على الحفظ) ها هنا بهذا الجامع. ويونس هو ابن حبيب الضبي النحْوي أبو عبد الرحمن جاوز المئة، وأما يونس ابن حبيب العجلي الأصبهاني المحدّث أبو بشر راوي مسند الطيالسي فهو متأخر عن الأول.

(٢٠) الحارث هو صاحب المسند المشهور الذي جرَّد ابن حجر والبوصيري والهيثمي زوائده على الكتب الستة وجعلوها مبوَّبة. وقول العلماء الذي يحكيه عنهم من آيات الله تعالى في خَلْقه، ومما يقوِّي عزم الإنسان على الحفظ مهما كثر ما ينبغي له حفظه.

بحديث فأحببتُ أن يعيده عليَّ.[٢٠/م]

[٥] - [رفع الصوت في الدرس].

وينبغي للدارسِ أنْ يرفعَ صوتَه في درسِه حتى يُسْمِعَ نفسَه، فإن ما سَمِعَتْه الأذن رسخَ في القلب، ولهذا كان الإنسانُ أوعى لما يسمعُه منه لما يقرأه. وإذا كان المدروسُ مما يفسح طريقَ الفصاحة، ورَفَعَ به الدارسُ صوتَه، زادت فصاحته.

وحُكي لي عن بعض المشايخ أنه قال: رأيت في بعض قرى النَبْطِ فتى فصيحَ اللهجة، حَسَنَ البيان، فسألته عن سبب فصاحته مع لُكْنَةِ أهل جِلْدَتِه، فقال: كنت أعمُدُ في كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ، فأرفعُ بها صوتي في قراءتها، فما مَرَّ لي إلا زمان قصير حتى صرتُ إلى ما ترى.[٢١]

وحُكِيَ لي عن أبي حامد أنه كان يقول لأصحابه: إذا درستم فارفعوا أصواتكم، فإنه أثبتُ للحفظ وأذهبُ للنوم.

وكان يقول: القراءة الخفية للفهم، والرفيعة للحفظ.[٢٢]

[٦] - [التمهل في المذاكرة].

وكان بعضهم يقرأ الكتاب، ثم يذاكر به حرفاً حرفاً، كأنَّ قارئاً

(٢٠/م) رواه أبو خيثمة في كتاب العلم (٢٨) وابن عبد البر في الجامع (٦٧/١) وغيرهما، وانظر له ترجمة الشعبي- رحمه الله- من آخر هذا الجامع.

(٢١) بئس ما صنع، فإن الجاحظ إمام من أئمة الجهمية المعتزلة، ومن كان هكذا كانت قراءة كتبه ممنوعة، وكان تعلم اللغة من غيرها أسلم لدينه.

(٢٢) نعم، هو كذلك، فإنه يصير له ذاكرة سمعية تردّ عليه ما حفظه، فمن استطاع ربط ما يحفظ بأنواع من الذاكرة كان أحفظ لما يحفظ! كما بينتُ في حاشية كتاب الخطيب ها هنا في هذا الجامع.

يقرؤه عليه فيفسره له.

[٧] - [**قلة الضوء، وقلة ما يشغل البصر**].

كان الشافعي- رحمه الله تعالى- يقول: الظُّلْمة أضوء للقلب.

[٨] - [**وقت الليل أصفى للذهن**].

وسُئل رجل عما يورث الحفظ، فقال: البِزْر البِزْرَ! يعني يوقد من الزيت.

[٩] - [**الحفظ أوْلى من الإكثار**].

وإذا كان ما جمعتَه من العلم قليلاً وكان حفظاً، كثرت المنفعة به، وإذا كان كثيراً غير محفوظ، قلّت منفعته.

وحدّثني الضرّاب قال: سمعتُ أبا العباس النفّاط يقول: كان علم الأصمعي في قِمَطْرٍ إلا أنه كان حِفْظاً.

وكانت كتب أبي عمرو بن العلاء ملء بيت، فاحترق، فكان جميعُ ما يؤخذْ منه إلى آخر عُمُره من حِفْظه.

والذي يدل عليه أخبار العرب أنهم كانوا يسمعون الخُطْبة والقصيدة الطويلتين فيحفظونهما، وما روي أنهم كانوا استعادوا الخطيب والشاعر شيئاً من كلامهما. وكان من المولّدين من وصف بمثل هذه الحال.

أخبرنا الشيخ أبو أحمد عن رجاله قال:

أمر الرشيد أبا يوسف القاضي، بأن يجمعَ له أصحاب الحديث فيحدثوه وولده. فجمع له أهلَ الكوفة فحضروا، إلا عبدَ الله بنَ إدريس، وعيسى بنَ يونس، فإنهما أبيا أن يحضرا.

فركب إليهما الأمين والمأمون، فحدثهما عبدُ الله بنُ إدريس بمائة

حديث، فلما فرغ قال له المأمون: أتأذن لي أن أقرأها عليك من حفظي؟

فقال: إن شئت.

فوضع الكتاب من يده، وقرأها بأسانيدها من حفظه. وعرض عليه المأمونُ مالاً، فلم يقبله، وسأله المأمون أن يبعث إليه بطبيب يداويه من جراحة به، فأبى.

وقال: يشفيني الذي أمرضني.

وحدَّثهما عيسى بنُ يونس، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم، فقال: لا أقبل على حديث رسول الله ﷺ شربة ماء. فزاده المأمون عشرة آلاف أخرى، فلم يقبلها، وقال: لو ملأتَ هذا المسجد لي ذهباً لم أقبله.[٢٣]

[١٠] – [المداومة على طلب العلم والدرس].

وقال المنصور بن المهدي للمأمون: أيحسن بمثلي أن يتعلم؟

فقال: والله لأن تموت طالباً للعلم، خير من أن تموت قانعاً بالجهل[٢٤].

وروي أنَّ أبا العباس ابن سُرَيج لم يبت على فراشه حتى مات ابنُ داود[٢٥].

---

(٢٣) خرّجتُه ونظائره في الاحتساب في كتاب (الأذان بين الاحتساب والاكتساب).
وأما ذاك الملقب بالمأمون، فلم يكن مأموناً ولا نفعه ما سمع ولا حفظ من حديث رسول الله– صلى الله عليه وسلم: إذ سعى في خلع أخيه وقتله، وكان أول من نشر بدعة القول في القرآن وآذى أهلَ السنة بها.

(٢٤) علّقه ابن عبد البر في الجامع (٩٦/١) وفيه: (إن كان الجهل يعيبه، فالتعلم يَحْسُنُ به).

(٢٥) يعني لم ينم ليلته حتى مات ذلك، وابن سُرَيْج هو أحمد بن عمر كبير القدر عند الشافعية، ومحمد بن داود هو الظاهري الجهمي كأبيه لم ينفعه علمه، وكان بينه هو وابن سريج مناظرات (السير ١٣/١٠٩ و ١١٠ – ١١١)

وحُكي عن ثعلب أنه كان لا يفارقه كتاب يدرسه، فإذا دعاه رجل إلىٰ دعوة، شرط عليه أن يوسع له مقدار مِسْوَرة، يضع فيها كتاباً ويقرأ.

وكان أبو بكر الخياط النحوي يدرسُ جميعَ أوقاته، حتىٰ في الطريق، وكان ربما سقط في جُرُف أو خبطته دابة.

وحُكي عن بعضهم: أنه كان يشد في وسطِهِ خيطاً إذا قام من الليل يدرس خوفاً من أن يسقط إذا نعس.

وقال بعضهم: متىٰ تبلغ من العلم مبلغاً يُرضي وأنت تؤثر: النوم علىٰ الدرس، والأكل علىٰ القراءة.(٢٦)

[١١] - [يحفظ كل يوم ولو قليلًا]

كان أحمد بن الفرات لا يترك كل يوم إذا أصبح أن يحفظ شيئاً وإن قلَّ. وقال بعضهم: كنت أحضر مجلس الشيخ يوم الجمعة بالغداة من غير أن يكون دَرْس لئلا أنقض عادتي من الحضور.

---

(٢٦) أما الاستفادة من كل لحظة من عمره فهذا سبيل من مضىٰ مِنْ أهل العلم: يستفيد منه في علمٍ، أو ذِكْرٍ، أو صلة رحم بغير لغوٍ ولا معصية. فإذا رأيتَ الرجل يضيّع أوقاته فاعلم أنه يعجل بوفاته وهو بعدُ في حياته!

وقد كان بعضهم إذا دخل الحمام يجعل من خارجه قارئاً يقرأ عليه!

وذُكر عن النضر بن شُمَيْل- رحمه الله تعالى: (لن تجد لذة العلم حتىٰ تجوع وتنسى أنك جائع)!، وكان بعضهم يختار الطعام السريع، أو يجعل أخته تلقمه وهو يقرأ! وانظر (٣٥).

لكن الرفق بالبدن لابد منه، وقد قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في الصلاة وهي أطيب حالة من حال القراءة فيمن ربط خيطاً ونحو ذلك: «حُلُّوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإن الله لا يمل حتى تملوا» «إذا قرأ أحدكم القرآن فاستعجم عليه، فليذهب فليضطجع فلعله يذهب يدعو فيسب نفسه».

فحاله حينئذٍ لا يصل معها إلى قلبه شيء من العلم النافع.

[١٢] – [ترك ما يشغل من أمور الدنيا]

وكان بعضهم إذا رأىٰ متعلماً ذكياً يفهم ويحفظ قال: يعينُ اللّٰهُ والبلغمُ! يريد أن الله يبلوه من أمور الدنيا بما يُنسيه العلم، والبلغم مما يُنسي![٢٧]

[١٣] – [الرغبة في العلم والحفظ].

وعند الحكماء أن من تبرَّمَ بالعلمِ والعلماء، ومن يقدر علىٰ حفظِ العلمِ والأدب وهو مُقَصِّرٌ فيه فليس بإنسان كامل. والكاملُ من الناس من عَرَفَ فضلَ العلم، ثم إن قَدَرَ عليه طَلَبَه.[٢٨]

ورُوي أنَّ رجلاً قال لخالد بن صَفوان: ما لي إذا رأيتُكم تذاكرون الأخبارَ وتدارسونَ الآثارَ وتُناشدونَ الأشعارَ وَقَعَ عليَّ النومُ؟!

فقال: لأنك حِمارٌ في مِسْلاخ إنسان![٢٨/م]

[١٤] – [الأدب في مجلس العلم].

قال أبو هلال: وجعل الحكماء منزلة العلماء مثل منزلة الملوك. فقالوا: من أدب الداخل على العالم أن يسلِّم علىٰ أصحابه عامَة، ويخصّه بالتحية،

---

(٢٧) أي الأطعمة التي يتولد عنها كثير من البلغم، وهذا بيانه مفصَّل في كتاب الخطيب هاهنا في هذا الجامع.

(٢٨) يعني وعمل به، وإلا فمجرد العلم دون العمل نقص، ونقص العالم بما ترك من العمل أعظم من نقص الجاهل كما قال الشاعر:

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً ... كنقص القادرين علىٰ التمامِ

(٢٨/م) رواه السمعاني في أدب الإملاء (ص١٤٢) من طريق ابن درستوية (صاحب التصانيف) عن ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/١٢٠) قال: قال رجل- فذكره.

– وروي قبله من طريق المخلِّص في فوائده (–) بسنده عن الداراني قال: (إذا رأيت الرجل ينام عند الحديث فاعلم أنه لا يشتهيه، فإن كان يشتهيه طار نعاسه).

ويجلس قُدَّامه، ولا يُشير بيده، ولا يغمِزُ بعينه، ولا يقولُ بخلاف قوله، ولا يغتابُ عنده أحداً، ولا يُسَارُّ في مجلسه، ولا يَلح عليه إذا كسل، ولا يُعرض عن كلامه، فإنه بمنزلة النخلة، لا يزال يسقط عليك منها شيء ينفعك.(٢٩)

وذكر أحمد بن إسحاق الحلبي قال: سمعت عمرَ بن سيّار المنبجي يقول: سمعت مالكَ بنَ أنس - رحمه الله- يقول: وجَّه إلَّي هارونُ الرشيد يسألني أن أحدِّثَه، فقلت: يا أمير المؤمنين إن العلمَ يؤتَى ولا يأتي. قال: فصار إلى منزلي، فاستند معي إلى الجدار، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم. قال: فجلس بين يديَّ، قال: فقال لي بعد مدة: يا أبا عبدِ الله، تواضَعْنَا لعِلْمِكَ فانتفعنا به، وتواضعَ لنا علمُ سفيانِ ابن عُيَيْنَةَ فلم ننتفع به.

وكان سفيانُ يأتيهم إلى بيوتهم فيحدثُهم ويأخذُ دراهمهم.(٣٠)

---

(٢٩) آداب ذلك كله بأسانيدها في كتب: (أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني) و (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب) و (الجامع لبيان العلم وفضله لابن عبد البر)، وغير مسندة في مثل كتاب (تذكرة السامع والمتكلم) و (جواهر العقدين). وهي من كتب علوم الحديث في آخرها.

(٣٠) لم أقف عليه، ولا أظنه يصح.

- وقوله: (العلم يؤتى) هذا قاله كثير من أهل العلم بعده، ومنهم البخاري وغيره: لا يأتون الكبراء يحدثونهم، بل يأتيهم هؤلاء مع الناس. ومَن صان ما أودعه الله إياه من العلم صانه وحفظه الله ورفعه. وانظر هاهنا (٢٣).

- وقوله: (إن من إجلال الله) هو حديث حسن عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- رواه أبو داود في سننه (٤٨٤٣) من حديث أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه، ولفظه:

إن من إجلال الله : إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط.

- وأما ذِكْر سفيان- رحمه الله تعالى، فقد قال: كنت أوتيت من فهم =

حدَّثنا الشيخ أبو أحمد، حدَّثنا محمد بنِ الحسنِ الزعفراني، حدَّثنا ابن أبي خيثمة، حدَّثنا محمد بن يزيد، حدَّثنا حمدان بن الأصبهاني قال: كنت عند شُريك، فأتاه بعض ولد المهدي، فاستند إلى الحائط، فسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه، وأقبلَ علينا ثم عادَ فعلا بمثل ذلك. فقالوا: أتستخفُ بأولادِ الخلفاء؟ قال: لا، ولكن العلم أجلُّ عند أهله من أن يضيّعوه. قال: فجثا علىٰ ركبتيه ثم سأله، فقال شُرَيْك: هكذا يُطلب العلم.(٣١)

= القرآن، فلما قبلت جائزة هؤلاء وُجدتُ ذلك- يعني نقصاً- في فهمي. وقد تأول إتيانهم، وأجمع أهل العلم علىٰ ترك ذلك كما بيَّنْتُه في كتابي الكبير- يسّره الله تعالىٰ: (إزالة النكرة).

- وأما أمر مالك- رحمه الله تعالىٰ- مع الملوك، فانظر له:

(مسائل البغوي ٥١ و ٥٢) و (الانتقاء لابن عبد البر ص٤٣- ٤٤) و (المدارك ٢/٩٥- ١١٢ و ١٣٠).

- وذُكِر أن الملك يوسف بن أيوب حضر هو وأخوه مجْلِس السِّلفي وهو يحدِّث فتكلما، فسكت السلفي ونهرهما. وذكر في قصة لمحمد بن نصر المروزي أن الأمير أكرمه فأنُكر علىٰ الأمير، فرأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال له صلى الله عليه وسلم: ثَبَّت اللّٰهُ مُلْكك بتعظيمك لمحمد، وأذهب مُلْك أخيك باستخفافه به.

(٣١) **إسناده صحيح**، وابن أبي خيثمة له تاريخ كبير، ومحمد بن يزيد أظنه أبا هشام الرفاعي، وحَمْدان لقب محمد بن سعيد.

وله طرق عن حمدان:

١ - محمد بن يزيد الرفاعي عند العسكري.

٢ - محمد بن يزيد المبرّد اللغوي أبو العباس: رواه الخطيب في الجامع (٣٤٣) أنا محمد بن عليّ بن يعقوب المعدِّل أنا محمد بن جعفر النحوي أنا الصولي (وله تصانيف منها أدب الكُتَّاب) عن المبرد عن حمدان- به.

٣ - محمد بن محمد بن زيد العلوي أبو الحسن: رواه السمعاني في أدب الإملاء (ص١٣٣) عن جماعة عنه قال: قال حمدان- فذكره. =

= وجثا عبد الله بن المبارك بن يدي سفيان بن عيينة- رحمهما الله تعالى.

رواه السمعاني في أدب الإملاء (ص١٣٣- ١٣٤) من طريق أبي صالح أحمد ابن عبد الملك المؤذن عن السهمي عن ابن عدي (ولهم تصانيف) عن الفربري عن ابن شبّوية عن قتيبة، وهذا إسناد صحيح.

- وقال سلمة بن عاصم: أردتُ أن أسمع كتاب العدد من خَلَف، فقلت لخلف، فقال: فليجيءْ، فلما دخل رفّعه لأن يجلس في الصدر، فأبى، وقال: لا أجلس إلا بين يديك، وقال: هذا حق التعليم، فقال له خلف: جاءني أحمد ابن حنبل يسمع حديث أبي عوانة، فاجتهدتُ أن أرَفّعه، فأبى، وقال: لا أجلس إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه.

رواه الخطيب في الجامع (٣٤٤) من طريق أبي بكر النقاش- وفيه مقال وله تصانيف.

- وشَرِيك هو ابن عبد الله النخعي الكوفي القاضي من أتباع التابعين، من أهل السنة، ولكنه وقع للعباسيين في القضاء، فأصابه من ذلك سوء في حفظه للحديث وأمور لا يقع فيها مِثْله في السنّة والعلم من مخالطتهم.

وقد رأى- رحمه الله تعالى- أن من إجلال العلم ومجالسه التواضع فيه في الجلسة لأنه بين يدي حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم، وقد أحسن- رحمه الله تعالى، وهذه سيرة أهل العلم في مجالس الحديث.

وأما تحديث أمثال هؤلاء كما سبق (٢٣) و (٣٠) ففيه نظر:

وقد بوّب الخطيب في الجامع: (من كان لا يحدّث السلاطين) وروى فيه:

(٧٦٠) عن ابن المبارك أنه لم يحدث ابن والي خراسان، وقال له: (أما نفسي فأهنتها لك) يعني بالخروج معه إلى باب الدار (وأما حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فإني أُجِلّه عنك).

(٧٦١) عن الفُضيل بن عياض قال: (أنا أُجِلُّ حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أحدّث به جعفر بن يحيى) يعني الوزير البرمكي.

(٧٦٢) عن قَبيصة بن عُقْبة أتاه ابن مَلِك الجبل، فأبطأ عليه وتركه على الباب، ثم خرج وعليه إزار ومعه كِسَر خُبْز، فقال: =

وحدثنا الشيخ أبو أحمد، حدثنا الجلودي حدّثنا المغيرة بن محمد، حدثنا عبد الكريم بن حامد عن المدائني قال: خرج المنصور يوماً من باب المذهب فقام القوادُ والحرسُ والشُرَط وفرجُ بن فضالة قاعدٌ لم يَقُم، فقال له: لِمَ لَمْ تقم كما قامَ الناسُ؟ قال: كرهتُ أن يسألني اللّهُ لم فعلتَ، ويسألَكَ لم

= (مَنْ رضي من الدنيا بهذا، إيش يعمل بابن ملك الجبل، والله لاحدّثته) ودخل وردّ الباب!

(٧٦٣) عن ربيعة بن عبد الرحمٰن دخل علىٰ الوليد بن يزيد وهو ملك فقال له: يا ربيعة، حدثنا، قال: (ما أحدِّث شيئاً)!

(٧٦٤) عن شَريك أن أبا جعفر كتب إلى الأعمش أن يحدِّث رجلاً، فجاء الرجل إليه، فقال له الأعمش: مالك؟ قال الرجل: هذا كتاب أمير المؤمنين. فأخذه الأعمش فأطعمه شاته، ثم قال: إيش فيه!؟ قال: فيه أن تحدثني! قال: والله ما أحدثك، ولا أحدث قوماً أنت فيهم.

ونحو ذلك:

أن أبا أحمد الفَرَضي المقريء كان يجلُّه أبو حامد الإسفراييني، فكتب أبو حامد إليه يشفع في رجل أن يسمع على أبي أحمد القرآن، فلما قرأه أبو أحمد رماه من يده وقال: أنا لا أُقْرِئُ القرآن بشفاعة.

رواه الخطيب في التاريخ (١٠/٣٨٠- ٣٨١).

هذا، وقد لام سعيد بن المسيَّب- رحمه الله تعالىٰ- الزُّهْري على أنه حدَّث عبد الملك بن مروان بحديثه (سيرة الزهري من تاريخ ابن عساكر).

وبوّب الخطيب أيضاً (من كان لا يحدّث أهل البدع) و (من كان لا يحدِّث أهل الرأي) وذكر في الأخير (٧٥٨ و ٧٥٩) بسندين صحيحين عن شريك أن أبا يوسف -صاحب الرأي- جاء إلىٰ شريك، فسأله أن يحدِّثه بحديث زيد ابن ثابت: (البراءة من كل عيب جائزة)، فأبى شريك أن يحدثه.

وقال علي بن حُجْر: كنا يوماً عند شريك، فقال:

من كان هاهنا من أصحاب يعقوب فأخرجوه يعني أبا يوسف- صاحب الرأي.

قلتَ، وقد كَرِهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذٰلك، فعذره المنصور.[٣٢]

ومثلُ ذلك أن الرشيدَ جمع الفقهاء فاجتمعوا في ذٰلك، ثم خَرَجَ عليهم فقاموا له إلا رجلاً، فلما دخل استدعاه، فشَمَتَ به بعضُ أعدائه، فلما رآه الرشيدُ قال: لِمَ لَمْ تقم لي كما قام أصحابُك؟

فقال: إنك يـا أميرِ المؤمنين أنزلتني منزلةَ العالم، وما كنتُ لأنزل نفسي منزلة الخادم.

فقال له: أحسنت وسأله عن مسألة في السيرة، فأجاب عنها، فأَمَرَ له بِحِمْلِ عشرة آلاف درهم، وقال: فَرِّقْها في أصحابك.

قال: فخرج مسروراً والمال بين يديه فانْحَرَّ من كان شَمت به وحسَدَه.[٣٣]

[١٥] – [انشغال جميع حواسه بما يقرأ].

قال محمد بن يزيد: نُمي إليّ أنَّ الخليل كان يخرجُ من منزله فلا يشعر إلا وهو في الصحراء ولم يردها، من شُغْلِهِ بالفكر.

ويدخل الداخلُ إلى أبي تمام الشاعر وهو يعمل الشعرَ فلا يَشْعُرُ به.

---

(٣٢) **إسناده ضعيف**، وفرج محدِّث مشهور مات سنة (١٧٦)، والقيام للناس نهى عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم، وقال أنس– رضي الله عنه: (لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله– صلى الله عليه وسلم، ولم يكونوا يقومون حينما يرونه لما يعلمونه من كراهيته لذلك).

وذكر نحو هذه القصة مع ابن أبي ذئب فقال: (إنما يقوم الناس لرب العالمين).
ومن لا يفهم لا يفرِّق بين القيام له (وهو المحرّم بحديث رسول الله– صلى الله عليه وسلم: من سرّه أن يتمثل الرجال له قياماً فليتبوأ مقعده من النار، ولا تقوموا لِّي) والقيام إليه (وهو المشي إلى الضيف لاستقباله، وهذا من إكرام الضيف).
ولي في ذلك جزء– يسّره الله تعالى.

(٣٣) سبق نحو معناه (٣٢).

وقالت امرأةُ الخليلِ للخليل: لا أراك تَجْلُسُ عندي كثيراً! قال: وما أصنعُ بك: أنت تجلين عن دقيقي، وأنا أدق عن جليلك![٣٤]

[١٦] - [الانتفاع بأوقاته كلها].

كان الخليل يقول: أثقل ساعاتٍ عليَّ ساعةً آكل فيها.[٣٥]

[١٧] - [الرفق بالبدن]

ورأىٰ معلمُ محمَدِ بن داود بن الجراح على دفتر له دماً فسأله عنه، فقال: إني كنتُ علىٰ السِّراج أدرس في الليالي الحارة فأرْعُف، فقال له: إنما تطلب العلمَ لنفسِك، فإذا أتلفتَ نفسَك فما ينفعُكَ علمُك، وقد قال عمر

---

(٣٤) ونحو هذا:

- ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار (١٧٦/٢) عن نوفل بن مساحق كان إذا دخل علىٰ امرأته صمت، وإذا خرج من عندها تكلم!

فقالت له: أما عندي فتُطرِق، وأما عند الناس فتنطق!؟

فقال: أدِقّ عن جليلك، وتجلين عن دقيقي!

- ذُكِر عن الزبير بن بكار قال لامرأته: احمدي الله أني لم أجىءْ لك بضَرَّة!

فقالت: هذه الكتب أشد عليّ من مائة ضرَّة!

فثمة نصيحتان:

- الأولى للنسوة اللاتي يتزوجن طلبة علم: أن يكففن عن ملء مسامعهم بأحاديث الناس والنساء واللغو والأسواق والمجالس، وإن لم يساعدنهم علىٰ طلب العلم فلا أقل من أن لا يشغلنهم عنه بمطالب الدنيا وتجاراتها، فإنها حينئذٍ يكون لها كأجر طالب العلم لمعونتها إياه عليه.

- والثانية للرجال الذين تزوجوا نسوة يطلبن العلم: أن لا يشغلوهن عن طلب العلم بالولائم والضيافات والزيارات، ولا يضيّعوهن بأمور الدنيا المتكاثرة، فإن لم يستحوا من أنفسهم فيكونوا مثلهن، فلا أقل من أن لا يشغلوهن عن الخير.

(٣٥) سبق في (٢٦) نحو هذا المعنىٰ.

ابن عبد العزيز: «إن نفسي مطيتي فإذا حملتُ عليها حَسِرْتُها»، فقال له محمد: قال بعض الأوائل: إن لم تصبر علىٰ تعب التعلم صبرتَ علىٰ شقاء الجهل، فقال المعلم: صَدَقَ هذا القائل، ولكن تَجَاوُزَ الاعتدالِ في طلب العلم ربما أدىٰ إلىٰ تضييعه.(٣٦)

قال أبو هلال:

وهذا مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا إنَّ هذا الدين متينٌ فأَوْغِل فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً، أبقى»(٣٧)

والعرب تقول: شر السير الحقحقة، وهي شدَّةُ السير.

وقال الشاعر:

تقطع بالنزول الأرضَ عنا   وطولُ الأرض تَقْطَعُه النزول

يريد أنك إذا نزلت وسرت بلغتَ المقصدَ، وإن واصلت السير قطُع بك(٣٨)

---

(٣٦) ابن الجراح هذا من أهل اللغة والشعر، فبئس ما أسهر له ليله: لا لطلب تفسير آية من كتاب الله تعالىٰ، ولا في دَرْس حديث لرسول الله- صلى الله عليه وسلم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً».

(٣٧) **ضعيف**، رواه البزار والبيهقي وغيرهما، وانظر الضعيفة (٢١/١ و ٢٤٨٠)، ومستخرجي علىٰ كتاب العزلة للخطابي.

(٣٨) وبهذا انتهى ما انتقيته وما علقته على هذا الكتاب- نفع الله به وجعله خالصاً لوجهه وذلك ليلة سابع صفر سنة إحدى عشرة وأربعمائة وألف، والحمد لله رب العالمين.